الشحرور والرجل

طلال نصر الدين ـ سوريا

(غرفة كبيرة من تلك التي ترتجل على سطوح البنايات لتناسب رجلاً وحيداً.

في نهاية الحائط الأيمن للغرفة فتحة المدخل، حيث يختفي بعدها الباب الرئيسي، وأمام الفتحة مشجب أرضي خشبي عُلِّقت عليه قبعة إيطالية رماديّة، وعكازة خشبية، وعباءة مغاربية.

وسط الغرفة يغفو الرجل على كرسيّه الخيزراني الهزاز متلفعاً ببطانية سوداء، بالرغم من صوت إحدى مغنيّات المقاهي الليلية، وهو يصل متقطعاً.

في العمق صوفا قديمة تصبح سريراً عند الحاجة، وعلى الحائط اليساري عدة رفوف وقد وضعت عليها دمى مختلفة الأشكال والوجوه، وقد صُنعت يدوياً وبإسلوب بدائي ومتقن.

في الزاوية اليسارية طاولة خشبيّة مستطيلة وعليها عدة دمى منجزة وأخرى قيد الإنجاز، وعلب الغراء والحشوات القطنية للدمى، وأقمشة ملوّنة رخيصة، وعلب الخرز، وإبر ومخارز، وقطع الجرائد المقصوصة من أجل صناعة الدمى.

على يسار الحائط العمقي علقت أربع قبعات: طربوش تركي وفوقه قبعة نابليونية، فقبعة عسكرية معاصرة، فأخرى أوروبية، وإلى الأسفل كوفيّة وعقال.

وسط الحائط العمقي صورة بالأسود والأبيض لرجلٍ قاسي الملامح، وجانبها صورة لسيدة محجّبة، وتحت الصورتين صورٌ صغيرة لأطفال من الجنسين.

تحت الصور طاولة صغيرة عليها غراموفون قديم، وإلى جانبه عدد من الأسطوانات المحفوظة، وأعلى الحائط يمين الصور صورة متوسطة الحجم لغيفارا، ثم النافذة الوحيدة للغرفة وفوقها صورة لشاب يحمل بندقية كلاشينكوف ويرتدي بزّة عسكرية مموّهة، ويمين النافذة على الأرض عود قديم.

الأضواء تتسرب من النافذة على كتلة الرجل بأوائل الفجر المعتم في مدينة تبدأ بالنوم فجراً.

تصل متقطعةً أصواتُ أغنية المقهى مع أصوات التصفيق والتصفير)

الرجـــل : **(يفيق مذعوراً)** ياإلهي.. ذات الصور ثانية **(يقوم بسرعة نحو الطاولة ويبحث بسرعة في أدراجها الثلاثة ثم يتذكر)** آه.. صحيح، لم نشترِ الدواء أمس **(صمت)** أمس كان يوماً منحوساً، لكن ما علينا، سنصمد. سنصمد حتى الصباح يا صاحبي وسنشتري ذلك

الدواء الملعون، سنتدبر ثمنه. لا أعرف كيف، لكني سأتدبّره (**يمضي نحو النافذة**) أين أنت حتى الآن**!**؟ (**صمت**) إنها الرابعة والربع**!!** هل يجب أن أوقظك كل يوم**!!**؟ لقد شخت أنت الآخر (**صمت**) ما علينا. مازلت أنتظرك (**يخاطب صورة المرأة**) صباح الخير يا أمي. (**ينظر للنافذة**) ليرحمك الله يا ست الكلّ، ليرحمنا الله جميعاً (**يرد على سؤال افتراضي**) أنا؟ أنا بخير والحمد لله (**يستدرك**) لا يا أمي لست بخير، أنا متعب، رأسي تؤلمني وتلك الصور الملعونة تعاودني ثانية، لكن لا بأس، مازلت حياً (**صمت**) أنا حي فحسب، أعيش. كيف؟ لا أعرف لكني أعيش. لماذا؟ لكي أرى كل هذا الهناء (**يعود صوت أغاني المقهى قوياً فيصيح**) وأسمع كل هذا.

صـــوت : (**من الأسفل**) يا جار نريد أن ننام

الرجـــل : نم. هل أهدهد لك كي تنام؟ كل يوم تسمع هذا البرنامج الرائع ولا تتفوّه بكلمة واحدة، هل صار صوتي يزعجك؟ نفس البرنامج كل يوم (**ساخراً وبسخط**) خذ الدبلة وطلّقني.. من عذابك أعتقني.. الشاب الأبيض غازلني، والأسمر ما غازلني وياالله (**يتمثل مجريات ملاهي الليل**) تحية لشباب الخليج (**يقلّد الدربكة**)

ترررم، وتحية لأبي مصلح من السعودية **(يقلّد الدربكة بإيقاع آخر)** تاراتاك، تحية لأبي منصور من قطر دمدم دمدملح، ولعبد الله السعيد من ليبيا ترتاتام، وتحية للسوريين وشيخ الشباب عبوّدي ترتاتام، وتحية لسعود وأحلى شباب الأردن، وللسودان ومصر والجزائر، تحية لكل العرب بكل مكان، وليدم الله أيام الحب والفرح والفرفشة **(ساخطاً)** تحية لملوك ورؤساء العرب، وتحية للعرب بكل مقاهي البلد، وبكل إذاعات البلد وجرائد البلد، ويالله **(يمسك رزمة من أوراق الجرائد وينثرها كالنقود)** ورشرش لعيون وخصر وصوت جميلة **(يرمي النقود الوهمية ثانية)** وتحية لأميرة وعيون أميرة.

الرجـــل : **(مقلّداً خلاعة بنات الليل)** ويالله (يرقص مقلداً الراقصات) دمدمدليلح دمديليلحلح.

صـــوت : **(من الأسفل)** يا جار ألا يكفينا برنامج هؤلاء الأرذال**!**؟ ماذا حدث لك اليوم يا أخي**!!**؟

الرجـــل : **(يهدأ)** آسف يا جار. آسف **(صمت للحظات)** ماذا حدث لي اليوم**!**؟ يا إلهي أنا متعب. متعب **(يتحسس صدغه التي تؤلمه ثم يحادث الدمى)** أمس نزلت لأبيع الدمى كالعادة، قلت أمّر إلى عند أبي علي نفطر سوية كالعادة أيضاً، وأغني له قليلاً قبل جولتي، لهذا أخذت

العود معي **(يتمثل لحظة مشاهدته لصاحبه)** صباح الخير يا صاحبي، ردّ عليّ لا أعرف كيف. عادةً كان وجهه يبش ويفرح عندما يراني، لكنه هذه المرة كان معتكر المزاج **(يقلّد أبا علي)** أهلاً قال لي بلا نفس **(يتمثل نفسه)** ما بك يا أبا علي؟ فانفجر بي فجأة: يا أخي حلّ عن سمائي، لست أبا علي ولست صديقك، أنا أبو سمير الحمصاني، وأنت لست ذلك البطل أو المناضل الذي اخترعه عقلك المجنون **(يتمثل نفسه وهو يردّ على صاحبه)** ولو يا أبا علي، أنا وديع حدّاد، أنا أبو جورج هل نسيتني**!**؟ وأنت أبو علي مصطفى صديق عمري**!!** صحبة عمر يا أبا علي ما بك؟ أنسيت أيام الفدائيين والمقاومة والعمل السرّي **(يتمثّل ردّ صاحبه أمس)** أية مقاومة وأي فدائيين وأي هراء؟ من يوم يومي أنا أبو سمير الحمصاني، وأنت محمد المجنون، لكنا كنا نجاملك، نضحك عليك هل فهمت**!**؟ **(يبهت متمثلاً تلك اللحظة)** أنا مجنون**!!** سامحك الله يا أبا علي **(تغرورق عيناه)** ذبحتني يا صاحبي ذبحتني **(يتمثّل ردّ صاحبه أمس)** يا أخي حلّ عني، والله قلبي ممرور من كل شيء، تكفيني دوريات التموين والصحة والشرطة، هذا اليوم لست رائقاً لك، اعتقني لأجل الله. قال لي **(صمت)** يا حيف. يا حيف،

يا حيف الحيف، هززت رأسي ومضيت **(يبكي)** أنكرني كما أنكر بطرسُ المسيح، فرحت لكنه ندم فصاح: تعال سامَحَني الله، أنت درويش على باب الله، ولابدّ أنك جائع تعال، وصنع لي صحن فول ورماه على الطاولة ثم: تعال وكُلْ قال **(يبكي)** يتحسّن علي**!!** هه..**!! (يصيح متمثلاً ما حدث)** ولك أنا وديع حدّاد أنا، اسمي فقط كان يرعب كل أوغاد العالم، كل حكام الدنيا، تنكرني يا مصطفى ياحيف الحيف. خلّ فولك لجوعك، ومضيت **(يهدأ ويتذكر)** ضجة. زمامير سيارات. أناس يرتطمون بي، وأنا دائخ جائع ورأسي تؤلمني، أترنّح وأسير وأرتطم بالناس أنا الآخر **(متمثلاً منظراً من يوم أمس)** انظر أمامك هل أنت أعمى؟ أتماسك وأسير محاولاً بيع شيء، أي شيء **(يقلّد نفسه يوم أمس)** ألعاب، مسابح ومحافظ وشحاطات خرز، سندريلا، ليلى والذئب، عنترة، أبو زيد الهلالي بخمسين ليرة فقط، لا أحد يراني أو يرى بضاعتي، ذرعت شوارع المدينة كلها يا شباب، نصف نهار دون أن يراني أحد، ولا واحد، أخيراً ضجرت وسرت، نفس أغاني المقهى تتردّد في كل مكان، من الإذاعة والسيارات ومحلّات التسجيل العادية، كأن البلد كلها مقهى ليلي**!!** بلد سياحي**!! (ينظر للنافذة**

ويصيح) تأخرت اليوم، ما قصتك؟ **(يعود لمخاطبة لعبه)** المهمّ يا شباب تابعت سيري علّي أبيع شيئاً، رأسي تضغط علي وكذلك تلك الصور، ومعدتي أيضاً، أدلّل على بضاعتي ثانيةً متمنياً الحصول على خمسين ليرة فقط لا أحد يراني، لا أحد. الناس سيل من المسرنمين، آلاف البشر وأنا وحيد، في الواقع كلنا وحيدون، أتمنى أن يستوقفني أحدٌ ما: رجل. امرأة. طفل. شاب أي شخص ليسألني عن شيء ما، أي شيء. من أنت؟ ما رأيك أن نفطر سوية؟ سأدعوك إلى فنجان قهوة. لكن لا. وجوه مكدودة تتلاشى محملة بهواجسها ومخاوفها من القادم **(صمت)** تذكرت أني رأيت ـ في بلد ما أو فيلم ما ـ موسيقيين يعزفون في الشوارع أو الحدائق، والناس يدفعون لهم القليل من المال، قلت أفعل ذلك: أعزف الموسيقى، ثم أمدّ قبعتي وربما يدفعون، فأشتري دوائي على الأقلّ، وإن كنت محظوظاً ربما أشتري صحن فول أو كوب قهوة مثلاً. **(يتذكر)** المهمّ عزفت.. عزفت أجمل ما لدي **(يتناول عوده ويعزف مقطوعة بإسلوب منير بشير)** لم يتجمهر الناس حولي، كانوا ينظرون إلي باستغراب ويطلقون عبارات مثل ما هذا المجنون؟ صار المهابيل يتهبّلون ولا أحد يردهم **(بسخرية)** معهم حق

على أية حال تعلمت درساً: الفرق بيننا وبين الأوروبيين ليس حضارياً أو ثقافياً أو معرفياً، الفارق ببساطة أن الأوروبيين يدفعون القليل لعازفي الحدائق البائسين كي يشتروا دواءهم، والناس عندنا لا يدفعون. لماذا؟ لأنهم فقدوا قلوبهم منذ زمن بعيد **(صمت)** أخيراً يا شباب سئمت وأسلمت نفسي للاشيء **(يبتسم)** الطيور تتقافز على الأشجار، تتغازل فوق الأغصان، وتحلق فوق البشر والبنايات والشوارع والسيارات وتسلح كيفما اتفق غير آبهة بنا نحن الحمقى، وأنا أتفرج وأقول يا ألله ليتني كنت ذلك الغراب مثلاً أو ذلك الحسون **(ينطلق صوت شحرور لا نعرف فعلياً إن كان واقعياً أم لا)** يا إلهي أخيراً استيقظت**!**؟ أقلقتني عليك **(الشحرور يغرّد)** ماذا؟ **(الشحرور يغرّد بحزن)** اصطادوا شحرورتك؟ كيف؟ **(تغريدة طويلة للشحرور)** يا إلهي لم يكن ينبغي أن تغفل عن حراستها **(تغريدة ساخطة)** لأننا نحن البشر مجانين، لا بل أوغاد، كان يجب أن تنتبه أنت فأنت الذكر **(تغريدة قصيرة يائسة)** نعم. نعم. آسف. العتاب لا يفيد شيئاً الآن **(تغريدة تساؤلية)** لا أعرف لا أظن أنك تستطيع أن تفعل شيئاً الآن **(تغريدة كسابقتها)** لا بدّ أنهم وضعوها في قفص ؟ **(تغريدة**

تقريريّة) إياك. إياك أن تفعل **(تغريدة تساؤلية)** أنت لا تعرف البشر، إنهم يضعونها أمامك كي تقترب منها أكثر فيصطادوك أنت الآخر، هل فهمت؟ **(تغريدة تساؤلية)** كي يسجنوك أيها الأحمق ألا تفهم**!!**؟ **(تغريدة كالسابقة)** كيف لماذا**!!**؟ كي تغني لهم أيها الأحمق كي يزينوا شرفاتهم بك**!!** ولا تسألني لماذا، ربما كي يشعروا أنهم أقوى هل فهمت؟ **(تغريدة استنكارية)** وهل تظنني أفهم أنا الآخر؟ إذا كنت أنا الإنسان المفكر لا أفهم لماذا نحن هكذا، فكيف ستفهم أنت**!**؟ **(تصويتة حزينة للشحرور)** آه يا صديقي. لا تبكِ أرجوك **(التغريدة الشجية تتردد)** يا أخي صحيح أنها في قفص، لكن إن كان يعزيك الأمر، فهم يقدّمون لها أفضل الطعام، دون أن يحققوا معها أو يعذبوها كي تعترف **(تغريدة تساؤلية)** تعترف بماذا**!!**؟ تعترف بكل شيء عني وعنك فيقودوننا إلى السجن **(التغريدة التساؤلية)** آه صحيح، في عالمكم لا يوجد سجون كيف سأشرح لك الأمر؟ **(الرجل يفكر ويشرح)** في عالمنا توجد السجون، والسجون يا صاحبي أقفاص لكن كبيرة، لأنها مخصصة لنا نحن البشر **(تغريدة تساؤلية)** أوهوه**!!** إنها أسوأ بألف مرة من أقفاصكم **(تغريدة أخرى)** صحيح أنها كبيرة، لكنهم

يزجّوننا بها بأعداد هائلة، تخيّل الوضع: غرفة كبيرة أو قبو، ممر جعلوه قبواً فسدّوا كل جوانبه وغطوه بسقف ما، لا نوافذ لا هواء، لا شيء سوى باب حديدي ضخم كي يُدْخِلونا منه **(يتذكر مشهداً يعرفه)** مائة وعشرون شخصاً في ممر طوله عشرة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار، مائة وعشرون شخصاً. هل تفهم؟ **(تصويتة موافقة)** وهناك لا تستطيع الجلوس أو الحركة كل ما تستطيعه هو الوقوف فحسب، أجساد روائح عرق وأفواه وأقدام لم تغسل منذ شهور، وروائح أقدام أولئك الذين أتو للتوّ من التحقيق ـ ولا تسألني ما هو التحقيق سأشرحه لك لاحقاً ـ المهمّ عندما يأتي الليل ويجب أن تنام غصباً عنك وعن لحية الذين خلفوك، يدخل الحراس **(يقلد أحد الحراس الساكنين في ذاكرته)** ناموا ولك أولاد الكلب **(يعود للروي)** نرتمي كيفما كان ولأن المكان ضيق، ضيق جداً، يصيحون: سيّفْ سيّفْ ولك ابن الزنا **(يتذكر ويشرح)** سيّف تعني أن تنام على جنبك. لا على ظهرك أو بطنك كي لا تأخذ مساحة كبيرة **(يصّف مجموعة من اللعب ويحشرها على أجنابها ويقلّد الحراس الذين يعرفهم)** سيّفْ أنت يا جحش، سيّف يا حمار. يا بغل يا كلب، سيّفْ قلت لك يا بن الـ..

صــوت : **(من الأسفل)** يا جار كرمى لله، دعنا ننام قليلاً

الرجــــل : **(يصيح بالجار)** سيّف ونم يا جحش، سيّف **(يعود لمخاطبة شحروره)** فنسيّف وننام ممددين كالعصي محشورين ببعضنا البعض، وفي الطرف المقابل يتمدد السجناء الآخرون مثلنا، وبما أن عرض المكان ثلاثة أمتار فقط، تصبح أقدامنا فوق أقدام المسيّفين مثلنا في الطرف المقابل، أو أقدامهم فوق أقدامنا، وبالرغم من هذا، المكان لا يتسّع، لهذا يكون على البقية أن ترتمي كيفما كان فوق أقدام أو أجساد الآخرين **(يعصر رأسه بيديه الاثنتين)** وفي الصباح ثمة سجين لا يقوم، يأتي الحراس يضربونه، يركلونه، فلا يفيق **(الشحرور يصوّت متسائلاً)** لأنه ميت يا صاحبي**!!** لقد مات بيننا دون أن يحسّ به أحد **(يبكي)** يجرّونه إلى مكان ما، وأولئك الذين ينتظرونه أهلاً أو زوجة أو أطفالاً سينتظرون غائبهم ولن يرجع أبداً، وربما يشفق عليهم أحد ما بعد زمن طويل ويخبرهم بأن يكفوا عن الانتظار ويقيموا مناحاتهم **(صمت)** ثم يعود اليوم ليصبح عادياً، تماماً كاليوم الذي مضى، يرمون لنا قليل الطعام، فنأكل لا نعرف كيف أو لماذا، كي نحيا فقط، نتحلق حول طعامنا البائس، ونلتهمه بسرعة تحت الشتائم والإهانات كالبهائم،

وبعدها تأتي المرحلة التالية: التحقيق **(تصويتة طويلة للشحرور)** الآن سأشرح لك ما التحقيق: يضعون طمّاشة على عينيك، والطمّاشة قطعة جلدية محكمة **(يمثل المشهد)** يضعونها هكذا **(يغطي عينيه بخرقة سوداء)** كي لا ترى أولئك الذين يعذبونك ثم تنهال الأسئلة: من فلان؟ أين كنت؟ من هم أصدقاؤك، ماذا قلت؟ بماذا فكرت؟ ويبدأ التعذيب **(الشحرور يصوّت متسائلاً)** التعذيب؟ كيف سأشرح لك**!**؟ في عالمكم أنتم الطيور لا يوجد تعذيب، دعني أقرّب الأمر لك، لو أمسكت بك **(يستدرك)** آه أنتم لا أيدٍ لكم أصلاً، ولكن افرض يا أخي أن عدداً كبيراً من الطيور ومن نفس جنسك أحاطت بك، وأنت لا تستطيع الطيران ولا الهرب مفهوم؟ **(تغريدة قصيرة)** ثم بدأت هذه الطيور تنقرك وتضربك بهدوء وتلذذ **(تغريدة تساؤلية)** هكذا فقط لأنك لا تفكّر مثلهم، وأحياناً للمزاج فحسب، ثمّ ظلّوا ينتفون ريشك حتى أصبحت عارياً تماماً **(تصويتة استنكارية)** ثم انهالوا عليك بأقدامهم وأيديهم وسياطهم **(تغريدة تساؤلية)** لأننا مجانين. أوغاد. قساة لا قلوب لنا هل فهمت؟ **(يطلق الشحرور تصويتة طويلة تعجّبيّة)** نعم. يفترض أننا بشر ومفكرون**!!** **(تغريدة استنكارية)**

لا أعرف يا أخي. ربّما أسوأ ما في الأمر أننا مفكرّون إلى هذه الدرجة!! **(تغريدة)** نعم حمقى **(صمت قصير)** لكن لسنا كلنا كذلك، خذني أنا مثلاً، ها أنا أحادثك، وها نحن نتحدث كأخوين من أسرة واحدة. وهذا يسعدني حقاً **(تغريدة طويلة لطيفة)** ويشرفني أيضاً أنني عرفتك، معك أنت يا صديقي أشعر أحياناً أني كسيدنا سليمان الحكيم **(الشحرور يطلق صوتاً تساؤلياً)** سليمان الحكيم نبي، إنه سيدنا سليمان الحكيم **(يعيد الشحرور التغريدة)** لا تعرفه؟ **(تغريدة قصيرة)** وهل يوجد أحد في الدنيا لا يعرف سيدنا سليمان الحكيم!!؟ **(تغريدة تساؤلية)** سيدنا سليمان الحكيم نبي والنبي هو رسول يبعثه الله عزوجّل كي يهدينا نحن البشر **(تصويتة تساؤلية)** يهدينا إلى الطريق القويم، يعلمنا، الصح، الخطأ، الخير، الشرّ **(تصويتة تساؤلية)** لأننا لا نفهم، صحيح أننا أذكى الكائنات إلا أننا لا نفهم، لهذا كل فترة يرسل الله لنا نبياً كي يهدينا ثانية **(تصويتة ساخرة)** لأننا أولاد حرام وأوغاد وأنفسنا ميالة للجشع والرذيلة والشرّ، ما إن يتركنا الله قليلاً حتى نفسق ونعود لشرورنا، لهذا كل فترة يرسل الله لنا نبياً، حتى..

صـــوت : **(مقاطعاً من الأسفل)** يا جار لأجل الله رب العالمين إهدأ

قليلاً.

الرجـــل : (**مقاطعاً وبحدّة**) اخرس وسيِّف ونمْ (**يعود لمخاطبة الشحرور**) ماذا كنا نقول؟ (**تغريدة مديدة**) آها تذكرت معك أشعر أنني مثل سيدنا سليمان (**تصويتة متوسطة**) أستغفر الله لست نبياً يا أخي، من أنا لأكون نبياً**!**؟ أستغفر الله العلي العظيم افهمني: سيدنا سليمان كان يفهم لغة الحيوانات كلها (**تصويتة قصيرة**) نعم كل الحيوانات بما فيها أنتم الطيور، ولأنني أستطيع أن أفهمك أشعر أني كسيدنا سليمان في هذه النقطة، أي في قضية التفاهم مع الطيور هل فهمت؟ (**تغريدة**) الحمد لله. (**الشحرور يطلق ترنيمة طويلة**) الله؟ (**تغريدة قصيرة**) لا أصدق (**تغريدة أطول**) وأنتم لديكم شحرور مثل سيدنا سليمان الحكيم بهذه النقطة أيضاً؟ (**تغريدة متوسطة**) اسمه تاتيرو؟ (**تصويتة قصيرة**) وهل كان تاتيرو يفهم لغة الحيوانات أيضاً؟ (**تصويتة موافقة**) كل الحيوانات**!**؟ (**تغريدة الشحرور الطويلة**) بما فيها نحن البشر**!**؟ (**ينفجر ضاحكاً ثم يشرح للدمى**) يا إلهي قال كل الحيوانات بما فيها نحن البشر (**يضحك الرجل والشحرور يصوّت**) لا أعرف ما الذي يضحكني لكن الأمر مضحك فحسب (**تغريدة استنكارية**) لا والله أنا لا

أسخر منك (**التغريدة الماضية**) لا لاتزعل مني، يستحيل أن أسخر منك، أنت صديقي الوحيد في العالم، كيف سأسخر منك؟ (**تصويتة غاضبة**) آسف إن ضايقتك (**ينطلق صوت غراب، ثم تتلوه أصوات الدوري بشكل تتابعي، فأصوات الغربان، وتدوّم حالة ذهنية غريبة على الرجل وهو يهذي**) رأسي يا سيدي من فضلك، وأبداً لم أعمل مع.. آه، هذا تمييز عنصري يا سيدي (**يعصر رأسه بيديه**) ولست إرهابياً. (**الأصوات تتالى بشكل متداخل ومشوّه فيصيح**) كفى هل تظنني ولدت هكذا رجلاً هرماً**!؟** أنا وديع حداد أنا (**يصيح بوجه أشباحه**) خسئتم وديع حداد لم يمت لأني أنا هو، انظروا إلي هل أنا ميت (**يصيح بشكل توكيدي**) هل أنا ميت**!؟**

صـــوت : يا أخي كل فترة تحرمنا من النوم وترعب أولادنا بهذه الزعبرات، قسماً بالله إن لم تسكت سأتصل بهم هه.

الرجـــل : تباً لك ولهم (**نعيق الغراب**) ولك أيضاً، ومنذ الآن لن أضع لكم فتات الخبز على النافذة (**الشحرور يطلق صوتاً قصيراً**) يا أخي كل مرة يخرجوني عن طوري (**الشحرور يغرد بلطف**) حسناً لأجلك أنت لن أفعلها (**صمت**) لست قاتلاً ولا إرهابياً أنا فدائي (**الشحرور يطلق صوتاً**) صحيح أنني أحمل بارودة لكنني فدائي

(الشحرور يصوّت) كيف ما الفرق!؟ **(غراب آخر ينعق)** صحيح ولكن... **(ينعق الغراب كأنه يقاطعه)** نعم ولكني لم.. **(يصوّت الشحرور)** لأنهم قتلوني أولاً هل تفهم؟ **(الشحرور يغرّد بتساؤل)** إليك كيف: بضعة أطفال يلعبون بكرة من الخرق، محمد نهى سمير وأنا. تقترب الطائرات من السماء يتراكض الناس كأنه يوم الحشر، الأطفال لا يفهمون ما يجري، محمد الذي كان يركض خلف كرة من خرق يتوقف ويحدّق إلى السماء وعلى وجهه تساؤل ما، تسقط أشياء من الطائرات، تتطاير البيوت والأتربة وجسد ما يطير، الدخان يملأ الدنيا ومحمد لم يعد موجوداً ولا الكرة التي من خرق، نهى أيضاً ستجد كرة معدنية ولما تمسكها لن تعود موجودة هي الأخرى، فيما بعد أيضاً، ستكون الدبّابات والقنابل والصراخ والأجساد الهامدة التي تلوّنت بالدم، بقع من دم، خيوط من دم، أنهار من الدمّ، الدخان في كل مكان. امرأة تولول وتصيح وصغار يبكون ويصرخون، ورجال يبكون أيضاً. ماذا بعد؟ ما الذي يمكنك أن تفعله؟ **(صوت الشحرور)** نعم يا صاحبي **(الشحرور يصوت بحزن)** لا شيء تعيش مسكوناً بالخوف، الخوف من الطائرات والدبابات وحتى المفرقعات، الخوف

من الكرات، الخوف من الأجساد النائمة أو الهامدة **(تغريدة تساؤلية)** لماذا الحروب**!؟** لأننا مجانين**!!** من يدري**!!؟** **(تصويتة طويلة للشحرور)** صحيح. منذ أن وجدنا نحن البشر صارت الحروب **(تغريدة الشحرور التساؤلية)** إنه الجشع يا أخي، هو ذا عالمنا: كباراً وصغاراً، وعندما تتحرك مطامع الكبار لابتلاعنا نحن الصغار، يحركون جيوشهم وجنرالاتهم وآلات دمارهم وتبدأ رقصات الموت **(يصف القبّعات العسكرية وخلفها الدمى المختلفة ويصدر أمره كقائد عسكري)** هجوم **(يتناول عباءته المغاربية ويرقص رقصة الحرب وهو يصدر أصواتاً أشبه بأصوات الرشاشات والقنابل والمدافع)** تنهال آلات الدمار. رصاص. مدافع. قنابل. طائرات، والناس يتساقطون لكن ليس كما في الأفلام بل يتساقطون حقيقةً وللمرة الأخيرة في حياتهم، يتساقطون مع صرخاتهم المريعة وعيونهم الفزعة، الجراح تنبجس، والدم يتطاير، نار، دخان، موتى.. **(يتوقف للحظات)** يا إلهي ما أسهل مشاهد الموت في الأفلام **(صوت الشحرور)** ماذا بعد؟ تصبح ما أنت عليه، تصبح ما اضطرّوك أن تكون، تحمل البارودة وتقاتل، تدافع عن كل ما تحبه وتراه حقك، تدافع عن حياتك، فتنهال

عليك الألقاب: قاتل مجرم إرهابي، لكن هذا أسهل ألف مرة من أن تكون صبياً يموت وهو يركض خلف كرة من خرق، أليس كذلك!! **(يطلق الغراب نعقة واحدة فيصيح معلناً)** محكمة **(يصفّ الدمى المخصصة لرجال المحكمة ويصف دمية أخرى تمثل المتهم، ثم يحرّك دمية القاضي)** هل أنت فلان الفلاني؟ **(يقلّد متهماً ربما كان هو ذاته)** نعم سيدي القاضي **(يحرك القاضي)** هل فعلت كذا وكذا؟ **(يحرك دمية المتهم)** نعم سيدي **(يقلّد القاضي)** وكذا أيضاً؟ **(يتمثل المتهم)** نعم سيدي **(يتمثل القاضي الثاني)** وفي يوم كذا من الشهر الثالث في سنة كذا هل قمت.. **(يتمثل المتهم الذي يقاطع القاضي)** نعم **(يمثّل القاضي الثالث)** وماذا عن.. **(يتمثل المتهم)** نعم. نعم. نعم. فعلت كل هذا **(يمثل القاضي الثالث)** بم تدافع عن نفسك؟ (يتمثل المتهم) سيدي القاضي لن أدافع عن نفسي، لكني فقط سأحدّثك عن أحلامي طيلة عشرين عاماً، رأيت أمي في المنام وهي تبكي، كنا نركض ونركض، وكان شيء ما يجري خلفنا، كان الغول، نعم سيدي، الغول، ثم فجأة صرنا في مكان ما، خيمة ربما، أو قبو لم أعد أذكر، وفجأة ظهرت أختي في المنام، كانت تلبس ثوباً أحمر، ثم جلست أمامنا وهي تبتسم، ثم لا

أعرف كيف صار الثوب الأحمر يكبر ويكبر وأختي كانت تذوب وسطه كالشمع عندما تلتهمه النار، تلاشت أختي ثم لم يبقَ منها سوى بقعة حمراء، لم تكن دماً!! قمت، قالت لي أمي: خذ هذا الدم معك واذهب إلى الدار، قلت لها يا أمي هذا ليس دماً. قالت بلى بلى خذه إلى الدار وعد بسرعة، ولا تنسَ أن تحضر لي معك المفتاح، ولما خرجت اكتشفت أني نسيت طريق الدار، فعدت لأسأل أمي، لم تكن موجودة، أحسست في المنام أن الغول أخذها، فصرخت. صحت. زعقت. ثم أفقت **(يلهث مكدوداً)** في حلم آخر رأيت كرة ليست من الخرق تركض خلفي وأنا أعدو، أركض فتركض خلفي وهي تكبر، أدخل في جحر صغير، فتصغر وتدخل خلفي وقد صار لها أنياب، أطير فتطير ورائي أصل إلى نهاية العالم فتظل تركض خلفي وأنيابها تكبر، ثم ولشدّة خوفي أقفز بعيداً عن العالم كلّه فتلحقني أيضاً **(يبكي)** في حلم آخر سيدي القاضي **(يتمثل القاضي الرئيسي وهو يقاطعه)** يكفي. حكمت المحكمة على وديع حداد **(ينطلق صوت الغراب بنعقة واحدة فيهمس له)** بلى أنا وديع حداد ولكنهم لا يعرفون **(الشحرور يغرّد تغريدة قصيرة جميلة)** شكراً لك لأنك تصدّقني يا صاحبي **(يتابع**

الهمس كأنه يبوح بسّر) وفي مرة أخرى كنت كارلوس. نعم. كارلوس. لا لم يقبضوا علي في السودان، بل ذهبت وتنكّرت وصرت محمد بن حربا، ولما حاصروني في باريس، صرت سوغومون تهرليان، وكان عليّ أن ألاحق ذلك السفاح إلى ألمانيا كي أقتله **(يطلق الشحرور صوتاً يبدو للرجل استنكارياً)** كان علي أن أقتله، كي لا يشعر هو وأمثاله أنه يمكنهم أن يرتكبوا كل تلك المجازر ويعيشوا مترفين مرفهين، يجب أن يكون هناك عقاب ما أليس كذلك**!**؟ **(الغراب يطلق ثلاث نعقات)** هل أتوا أخيراً **(يطلق الغراب نعقة واحدة)** ليكن **(يبدأ بالاستعداد فيخلع مشّاءته البيتية ويضع حذاءه بقدميه)**

(طرقات على الباب)

صـــوت : محمد عويّد افتح الباب

الرجـــل : لحظة من فضلكم **(يسير بالممر ويختفي فنسمع صوت فتح الباب ثمّ صوت الرجل)** كنت بانتظاركم يا سادة، أنا جاهز **(تمرّ ثوان قليلة)** لحظة لو سمحتم، حلّوا الرباط قليلاً من فضلكم، دقيقة فقط

صـــوت : طيب لكن لا تتأخر.

الرجـــل : **(من الخارج)** حسناً **(يظهر ثانيةً وقد ارتدى سترة**

المجانين البيضاء الطويلة الأكمام لكن المحلولة وينطلق صوت الشحرور لطيفاً وواقعياً جداً، والرجل يتناول كيس الخبز ويقطع منه الفتات ليضعها على حافة النافذة، ثم يلقي نظرة على الخارج) وداعاً **(يغيب في المدخل)**

الرجـــل : أنا بأمركم يا سادة

الصــوت : هيا

(نسمع صوت إغلاق الباب ثم صوت المفتاح الرئيسي للكهرباء فتعم العتمة)

النهاية